علاقة المكان بالتقنيات السردية في روايات نجيب الكيلاني

رشا فتحي أحمد محمد (*)

الحمد لله الذى خلق الإنسان، وعلمه البيان، وألهم اللسان مكنونات الكلام، والصلاة والسلام على خير الأنام؛ أفصحهم لسانا، وأوضحهم بيانا وأرقهم طبعًا ووجدانا؛ محمد(ﷺ).

وبعد؛

إن ارتباط المكان بالتقنيات السردية من شخصية وزمان ارتباط وثيق؛ لا تتم مجريات الأحداث الروائية إلا به؛ بحيث ينتج التفاعل ويتم الانسجام ويخلق العمل السردي.

والشخصيات هي القوة الدافعة للرواية وأفعالها وقراراتها تتأثر بالمكان الذى توجد فيه وتبرز دوره وتضفى على سكونه الحياة والحركة، وتمثل الشخصية مرآة عاكسة لملامح المكان وصفاته.

كما يؤثر الزمان فى الشخصية والمكان؛ فالشخصية تتأثر بالزمان والمكان الذين تتواجد فيهما؛ بحيث يلعب الزمان دورًا حاسمًا فى الرواية ؛ لأنه يحُد من تصرفات الشخصية وقراراتها داخل المكان الروائي الذي يُعد بمثابة بناءً لغويًا يشيده خيال الروائي ويُضَمِّنه كل التصورات التي تهدف الرواية إلي إيصالها إلى المتلقي، والإنسان ابن الوقت فما يعيشه يخضع للوقت لحظة بلحظة، كما أن إيقاع السرد وحركة الشخصيات يخضعان لسرعة وتباطؤ حركة الزمان، ولا يقوم عنصر المكان فى الرواية الأدبية حقيقةً إلا بتقنياته السردية من زمانٍ ومكانٍ ولغةٍ فهم بمثابة الروح والمكان بمثابة الجسد وعمود الأساس فى الرواية الأدبية وعلى أساسه تتشكل هذه التقنيات السردية وتخدم فكرت الرواية القائمة فى المكان الفني.

مشكلة البحث:

تُعد علاقة المكان بالتقنيات السردية فى روايات" نجيب الكيلاني " من المواضيع التي لم تحظى بتركيز شامل عليها؛ بحيث تم تناولها داخل أبحاث أدبية دون توسع، ودون الكشف بصفة خاصة عن صورة المكان وعلاقته الوطيدة بالتقنيات السردية ،وقد أشارت بعض الأبحاث إلى الزمان والمكان والشخصية في روايات "نجيب الكيلاني" إشارات هامشية؛ لذا رأت الباحثة ضرورة إفراد بحثًا مستقلاً لإظهار دور البطولة للمكان فى روايات" نجيب الكيلاني " وإظهار تأثير التقنيات السردية

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [صورة المكان في روايات "نجيب الكيلاني" (دراسة تحليلية)]، وتحت إشراف: أ.د. زياد محمد الجبالي - كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. محمد محمود حسين – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

الأخُرى على المكان فى رواياته بشكل مفصل؛ وكيف استطاعت هذه العلاقة أن تؤثر فى أساليب رسم المكان عند الروائي "نجيب الكيلاني.".

تساؤلات البحث:

يطرح هذا البحث تساؤلات لعل أهمها:

١. ما هي سمات وملامح المكان في روايات نجيب الكيلاني عينة البحث.
٢. ما هي علاقة الزمان بالمكان الروائي.
٣. ما هو أثر حركة الزمان وأنواعه فى مجريات الأحداث الواقعة فى المكان.
٤. ما هو أثر وجود الشخصية فى المكان الروائي، وكيف تضفى عليه روح الحياة.
٥. ما هي السمات التي تكتسبها الشخصية من المكان الروائي والتي تضفيها عليه.

أهمية البحث:

١. تجليات المكان وخصوصيته وعلاقته بالتقنيات السردية في روايات "نجيب الكيلاني" تعتبر ظاهرة تستحق البحث.
٢. ندرة البحوث التي تناولت خصوصية المكان وعلاقته بالتقنيات السردية فى روايات "نجيب الكيلاني "
٣. خصوصية المكان فى روايات "نجيب الكيلاني" وتفاعله مع التقنيات السردية يعتبر ذا أهمية كبيرة.

أهدف البحث:

١. الوقوف على ملامح صورة المكان والزمان والشخصيات فى روايات "نجيب الكيلاني "
٢. التعرف على أنماط المكان والزمان والشخصيات المختلفة فى روايات "نجيب الكيلاني" ودورها فى حبك الأحداث وإظهار الصورة المتكاملة للعمل الأدبي الروائي.

منهج البحث:

يستند هذا البحث إلى المنهج الوصفي، الذي يهدف إلي رصد الظاهرة موضوع البحث ومن ثم تحليل المضمون وإظهار الصفات، مع بيان درجة ارتباط الظاهرة موضوع البحث بالظواهر الأخرى المتعلقة

المبحث الأول
المكان وعلاقته بالشخصية

إن الشخصية والمكان وجهان لعملة واحدة؛ والشخصية مرآة عاكسة لملامح المكان، تؤثر به ويتأثر بها، "فالمكان يكتسب صفة المجاز المرسل أي الساكن هو المسكن فمن هنا تأتي وظيفة الوصف التفسيرية"(١). ففي رواية "قاتل حمزة" رسم السارد صورة "وحشي" فى علاقته الطردية بالمكان:

"يجب أن ترحل فورًا يا وحشي..."

"لماذا؟؟".

"لأن غيرك ينتظر دوره .."

طار النعاس من عينيه، وجلس في الفراش قائلا:

"غيرى ينظر؟؟ إنني أرفض أن يقطع أحد عليّ متعتي قالت في ضيق:

"أنت لا تملك ذلك ..."

"سأعطيك ما تشائين من المال .. سأعوضك عن هذا الطارق الجديد .."

زمجرت قائلة:

"هل جُننت يا وحشي؟؟ إنه سيد من علية القوم".

"وأنا الآخر سيد .. سأعطيك أكثر مما يعطي..." (٢).

اهتمت الرواية من البداية بتوضيح مفاهيم معينة؛ وهي تصوير الصراع العنيف بين الشرك والإسلام والخير والشر، كما رسمت طبيعة العلاقة التي رسمتها منهجية الجاهلية وناقشت الحرية والعبودية وصورة السماحة الإسلامية، وخلال ذلك كله أوردت الرواية شخصيات عدة أهمها وأبرزها شخصية الرسول "محمد" (ﷺ) وكيف تجلت صورته في قلب المؤمن والكافر، والذي اتضحت معالم شخصيته وأثرها في المكان من خلال حديث جواري بيت مطعم بن جبير: "إن محمدًا لم ينهزم كما يزعمون، فأنصاره في ازدياد، وقد أدب المعتدين من القبائل المجاورة له، وأخذ عليهم العهود والمواثيق وكسر شوكة اليهود في المدينة .. وها هم يأتون إلى مكة زرافات ووحدانا يستغيثون ويحرضون ..."

قالت أخرى: "إن سادات قريش منزعجون أشد الانزعاج، تجارتهم أوشكت على البوار، وأموالهم في تناقص مستمر، واسم محمد أصبح يزرع في قلوبهم الخوف .. لكأنما ساقت الأقدار محمدًا كي ينتقم من هؤلاء السادة المتغطرسين .. إنه يسقيهم من نفس الكأس الذي يسقوننا منها .. ومن يدري لعله يستطيع يومًا ما أن يحطم بيوتهم فوق رؤوسهم، وأن يطلقنا من أسر الذل والهوان".

قالت ثالثة: "إن محمدًا يعطف على العبيد والإماء .. ووصى بهم خيرًا .. ويأمر أتباعه أن يعاملوهم برفق، ويطعمونهم مما يأكلون ويعاملوهم كإخوة، بل إن أغلب

(١) سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مرجع سابق، ص١١٩.
(٢) رواية قاتل حمزة، ص٧٢.

العبيد الذين آمنوا برسالته قد نالوا العتق، ونعموا بالحرية..." [1].

أورد المثالان السابقان أهم شخصيات الرواية: "الرسول" (صلى الله عليه وسلم) ووحشي بن حرب بطل الرواية، و" عبلة " جارية مطعم بن جبير وحبيبة "وحشي" مع باقية جواري "مطعم بن جبير"، استطاعت هذه الشخصيات أن تعكس صورة مكة والمجتمع الجاهلي القديم، وتصور ملامح هذا المكان وصفاته وطبيعته.

فالمثال الأول يمكن من أن يصور لنا العلاقة بين الذات الفردية لـ"وحشي" والجماعة المتسلطة من السادة، هذا الذي وضحه لنا وعكس صورة المكان وطبيعته من خلاله؛ ذلك المجتمع الطبقي العنصري الذى قسم الأشخاص المتساوين في الخلقة والخلق إلى سادة وعبيد، حتى بعد أن أصبح حرًا لم يزل ينظر إليه من خلال ماضيه فى العبودية، وأنه لا يستطيع أن يتصف بصفات السيد الحر، مهما علا شأنه فذل العبودية وعارها يلاحقه، حتى "وصال الرومية" تلك البغي التي يجد عندها متنفسا من مرارة الحياة تحاول أن تضمد جراحه وتواسيه، ثم تطعنه في نفس الجرح ثانيةً؛ حينما تطرده من أجل سيد من سادة قريش، ويحاول "وحشي" جاهدا أن ينتزع سيادته غصبًا ويثبت لها أنه لا فرق بينه وبين ذلك السيد؛ فهو الآن حر ويمتلك المال ويستطيع أن يعطيها المزيد، لكنها تصر أن يرحل ليدخل السيد، فمهما علا شأنه لن يكون مثل ذلك السيد الحر من البداية، وهنا يصدم وحشي ويتألم أكثر؛ وهو ما يعنى أن "وصال" هي الأخرى وُظِّفت من ضمن الشخصيات التي تعكس صورة المكان في ذلك الحين، المجتمع المنحل أخلاقيًا، تقام فيه بيوت الدعارة جهارًا نهارًا، وتلك التى لا يتحرج السادة من التردد عليها؛ ووصال هذه وضعها المجتمع أيضًا حينما سمح لها بالانحلال وشجعها عليه ، وحينما لم تجد من يقومها ولا يضعها في موضع من التقدير والتحفظ، رضخت له وصدّقت أنها في مكانة رفيعة وأنها مثل الطبيب تداوي جراح المكلومين، وتُذهب الحزن عن المحزونين. مع كل ذلك يمكن القول: إن وصال تمثل معادلًا نفسيا للبطل المقهور(وحشى)؛ تداوي جراحه وتطبب نفسه المكلومة، وتشعره بسيادته، إذ إنه يدفن في الفراش نفسه، الذي يدفن فيه السادة أنفسهم فليس أفضل منه "جبير بن مطعم" ولا غيره من سادات قريش، ولعل "وصال" ترتاح إليه أكثر من هؤلاء السادة.

وفي المثال الثاني: تُحلل الشخصيات، شخصية النبي "محمد" – ﷺ - الذي غير مجرى الأحداث في المكان، حيث يساعد حوار الشخصيات حول شخصية "النبي" الجديد، وحول شخصيات سادة قريش في إنماء الحدث، وتوقع أحداث وردود فعل لم تقع، وهذا ساعد على وتصاعد الأحداث داخل الوتيرة النفسية، حيث تمر الشخصية بدوائر نفسية تعمل على نضجها أو انتكاسها حسب سياق كل رواية وحسب فكر الكاتب الفني، فالحوار النامي للحدث هنا ساعد شخصية "عبلة" على التطور الذهني والتصديق أكثر بأمر النبي الجديد، وقد مالت إلى الإسلام ودخلت

(١) رواية قاتل حمزة، ص٧٧.

فيه، ودافعت عن النبي الجديد ودينه، أما صويحباتها الجواري، اللائي تباينت آراؤهن بين مؤيدة ومعارضة فأغلبهن يفرح بمقدمه ويرين أن يُنكل بسادات قريش ويسقيهم من نفس الكأس الذي يشربن منه، كما تحدثن عن رأفة "محمد" ودينه الجديد بالعبيد، وأنه يساوي بينهم وبين السادة حال تحررهم، كما وضحن أثر الدين الجديد على قريش وساداتها من انزعاج واضطراب في تجارتهم، لكن ليس كلهن يؤيدن هذا الطارئ الجديد؛ فإحداهن ترى أن شأن قريش أعلى من شأن "محمد"، وأن قريش سترد عليه يوما ما وتقضي عليه، وهذا كله ينبئنا بأن المكان منبع الحدث، وأنهما ككل جزء لا ينفصلان، وأن الشخصية جزء لا يتجزأ من المكان، تقوم بالأحداث وينهيها وهي مرآة عاكسة لما يدور فيه، ولا يمكن فصل أيٍّ منهما عن الآخر أو إنكار دوره في صنع الفضاء الروائي فلا ننكر دور الحدث في صنع الفضاء الروائي، ولا دور الشخصية في تكريس الحدث ، ولا دور الحدث في إظهار ملامح المكان "ويقف الكاتب بالمرصاد أمام هذا الدفق المتبادل بين الحدث / المجال والذات وذلك عبر انتقاء فني"(١).

وتدور الشخصية في رحاب المكان ومؤثراته، وتشي الأحداث القائمة في ذات المكان بنوع من التعارض أو الموافقة لذات الشخصية، كما نرى في "قاتل حمزة"، حيث ينتقي الإحساس بالحرية وتصبح الجماعة المتمثلة في طبقة السادة عائقا في حرية الفرد، ومع تغير الأحداث وعلو شأن المسلمين تتأثر الشخصية بالمكان والحدث وتدخل في الإسلام وتنال الحرية المنشودة، أي أن المكان عامل مؤثر في انحطاط الشخصية أو علو شأنها وهذا ما نراه أيضًا في رواية "الرجل الذي آمن"، يقول السارد: "قيل له اذهب يا إريان إلى الشرق بلاد السحر والجمال والأسرار ... فكر في هذه الكلمات التي أسكرت مشاعره وفتحت له آفاق الخيال الواسع الرحب، خاصة أن روما؛ بل إيطاليا كلها أصبحت مملة صاخبة تعج بالسباق للجنون من أجل المال والسياسة، وتنتشر فيها ألوان الفساد، وعصابات المافيا، وخراب الذمم"(٢).

إن لدى الشخصية دوافع نفسية لتغيير المكان الذي لا تشعر تجاهه بالألفة، كما تتنوع التداخلات النفسية للشخصية ما بين رغبة النفس ومواجهة الواقع، فالعلاقة القائمة بين الشخصية والمكان هي علاقة أُلفة بالدرجة الأولى، ولما لم يجد "إريان " هذه الألفة في روما حاول أن يهاجر إلى بلاد الشرق، التي وجد فيها من الصفات ما يشبه روحه التي تمتاز الوفاء والإخلاص والقيم الحميدة، واستطاع أن يعيش فيها بسهولة ويسر، يقول السارد: "ولم يجد إريان صعوبة تذكر في حياته الجديدة، فالناس هنا في المدينة يألفون ويؤلفون، يتعاملون برقة، ويتجاوبون في بساطة، ..حاول منذ البداية أن يلتقط كلمات من اللغة العربية وقد ساعده على ذلك المرشد

(١) محمد قطب عبد العال: الذات والموضوع، مرجع سابق، ص٧٦.
(٢) رواية الرجل الذي آمن، ص٥.

"علي" موظف العلاقات العامة بالفندق، كما ساعدته الراقصة "شمس" التي وجد لديها قبولا، وكانت هي الأخرى تستطيع التفاهم بالإنجليزية البسيطة"[١].

إذن انخرط "إريان" مع المكان الذي يشبه روحه في سهولة ويسر وهذا إنما يدل على أن المكان والشخصية شيئان متآلفان يتأثر كل منهما بالآخر، ويؤثر فيه ولو شئت لقلت إن كليهما وجهان لعملة واحدة. وهذا ما قام به "نجيب الكيلاني" حيث نَوّع بين الأماكن التي انتقلت فيها شخصيات رواياته وخاصة، هنا في "الرجل الذي آمن"، حيث حدثت مفارقة قوية في الحياة الشخصية للبطل أدت إلى تغيير فكره ومعتقده الديني وأشياء كثيرة أخرى في شخصيته بفعل المكان وتأثره به، ولعل الكاتب يستوحي أدبه وخيالاته متأثرًا بالقصص الدينية أو الأحاديث، فهذه مثلاً فيها مشابهة بين قصة "توبة قاتل المائة نفس"- التى رويت فى الصحيح من كتب الحديث- والذي دلّه العالم على أن يترك أرض المعصية إلى أرض الطاعة لتتغير خصال نفسه ويستطيع تحسين حالته الدينية والشخصية.

وقد يعمد الكاتب إلى تغيير الأماكن التي تستقر أو تذهب إليها الشخصيات وفقا لغايات نفسية وذهنية ترتبط بالكاتب وبإسقاطه الفني على شخصيات رواياته وهذا كله يكون وفق غايات فلسفية عميقة توحي بمضمون عمله الفني، كذلك تتغير الأماكن في العمل الروائي وفقا للحالة الشعورية والنفسية للشخصية:

"كان إريان يعاني من القلق والاضطراب، إن ما هو مقدم عليه أمر خطير ومصيري، صحيح أن الناس في أوربا يختارون معتقداتهم دون حرج تحت شعار حرية العقيدة والفكر ويفصلون بين الدين والدنيا، والدين والسياسة، وشعورهم بالدين ومبادئه قد تضاءلت إلى حد كبير، لكن هناك بعضا موروثا يجعل التارك لدينه في نظرهم رجلا ناقصا، لكن وضع إريان أشد صعوبة وتأزما نظرا لمكانة أبيه الدينية المرموقة"[٢].

أراد الكاتب أن يفسر لنا ما يدور في فكر شخصيته، وحلل على لسانه طبيعة "روما" وأوربا عموما من جهة تغير المعتقدات، وأنه أمر هين وكل شخص له حريةالعبادة، لكن لم تزل هناك نظرة متوارثة تجعل الرجل التارك لدينه عندهم يتسم بالنقص"إريان " سيكون محط انتقاد بشكل أكبر، بسبب مكانة أبيه الدينية العالية في المسيحية، وبهذا استطاعت الشخصية أن تكشف لنا ملمحا من ملامح المكان الذي عاشت فيه وعلمت صفاته جيدا، والتي لم يكن لتظهر على السطح لولا أن أوردتها الشخصية، ولأن الكاتب أراد أن يقارن بين الشرق والغرب من حيث الفكر، مبينًا تأثير كليهما فى شخصية "إريان" بطل الرواية.

والغالب في الروايات هو تحريك الزمن وتعاقبه بين الليل والنهار، والصيف والشتاء، مع ثبوت المكان وهذا التنوع الزماني في المكان الثابت يضفي به نوعًا من

(١) نجيب الكيلاني، رواية الرجل الذي آمن، ص١٧.
(١) نجيب الكيلاني، رواية الرجل الذي آمن، ص٢٨

الإثارة والتشويق على ذهن المتلقي؛ ويساعد في إعمال الفكر وتخيل الأحداث، وهو أيضًا الذى يوحي لنا بداية الخيط الروائي وانتهائه أو بداية حياة الشخصية وتطوراتها عبر العمل الروائي حتى تصل بنا إلى مرحلة إتمام العمل الفني وإيصال الفكرة المطلوبة والتوقف عند هذه النقطة، كما تضفي هذه العوامل الزماكنية على العمل الفني صفات معينة لشخصية التي تتحرك داخل محيط الزمن في حيز المكان دائمًا.

وفي الواقع الحقيقي يلجأ بعض الروائيين إلى إضفاء صفات معينة لسكان منطقة جغرافية ما على سبيل تأثر أهلها ببيئتها الجغرافية، وقد تمتع هذا الرأي برواج كبير في الغرب خاصة، وقالوا بأن العوامل الجغرافية تؤثر فى الشخصيات من حيث الملبس والمأكل والمحصول والمزروع وحتى التفكير والإنتاج، واستشهدوا بالحضارة اليونانية القديمة "حيث تشكل حالة اليونان شكلا من أشكال التلخيص الجغرافي لحالة أوربا من حيث تعرج الشطآن وكثرة الجزر .. وتنوع المناخ وباختصار جمعت اليونان كل مظاهر التنوع الجغرافي الذي يكفي قارة كاملة"(١).

من هذا المنطلق قدّ نجيب الكيلاني فى رواية (نور الله) علاقة الشخصية بالبيئة، فقد استوفى بواطن الشخصية الخفية من الملامح البيئية والمكانية التى تحيط بها يقول السارد: "وهي تعرف أن زوجها خاض المعركة شاردا، لم يكن يؤمن بما يفعل لكن سيل الشرك الجارف قد اكتسحه، خاف أن يرمى في كبريائه وشرفه وانتقاصه لدين الآباء والأجداد، ونظام بلده" لاشك أن ذلك مرحلة دون الإيمان الصادق، ودون الاعتراف بالحق المجرد – لكن أبا العاص لم يكن قادرًا على أن يعلن إيمانه، ربما كان الإيمان بالدين الجديد في هذه الفترة يعني التخاذل يعني التنكر للنظام والأعراف وتراث الآباء .. ثم إن أبا العاص كان مدينًا بكثير من المال لرجالات قريش، أيُهاجر ليتهم في أخلاقه" كانت زينب تدرك ذلك بما تلاحظه وتسمعه"(٢).

فها هو الكيلاني يصف لنا "أبا العاص" زوج زينب بنت رسول الله – ﷺ- على لسان زوجته وكيف تمتع بصفات بيئته التي نشأ فيها وترعرع، فهو يقاوم الاندراج في الدين الجديد، ويشعر أن هذا ضدّ الأعراف والتقاليد، وتتنكر لها ولدين آبائه، وكم رجالٍ من العرب منعهم هذا الاعتقاد من الإيمان وماتوا على كفرهم، بسبب عدم التنكر للأعراف والتقاليد المتوارثة عن الأجداد والآباء، كما كان أبو العاص يمتاز بالشهامة المعروفة عن العرب فمنعته ديونه أيضًا من أن يسلم فيتهم في أخلاقه بأنه لم يؤدِ أمانات الناس التي عنده. ففي أكثر الأحيان يستطيع الإطار البيئي أن يعكس نفسه على الشخصية، وتستطيع الشخصية أن تكون صورة معبره عنه.

(١) الأدب والتاريخ، ص٤٨، نقلا عن صلاح صالح، قضايا المكان، مرجع سابق، ص١٣٢.
(٢) نجيب الكيلاني ، رواية نور الله، ج٢، ص٩.

إذًا من الناحية الفنية يحاول نجيب الكيلاني إثراء الشخصية بعوامل المكان الداخلية والخارجية لتحديد ملامح الشخصية وسماتها من خلال المكان الفني، يقول السارد: "واستدار سلمان إليهم، وأشرق وجهه بالنور والحب، وتجلت أهدابه عن نظرة فياضة بالشوق والحنين والإيمان وأخذ يقول في شفافية بهية":

أما أنا فقد أنزل الله في قلبي توقا إلى الحقيقة في وقت مبكر .. فتركت فارس وسرت من بلد إلى بلد أبحث عن نور الله .. لقد قيل لي إن نبيا على وشك أن يأتي إلى الناس في هذا الزمان .. تحدثوا عنه وعن أطراف من رسالته وعن الأرض التي يخرج منها .. وظللت أضرب في فجاج الأرض بحثا وتنقيبا .. يا لها من لذة رائعة؟ .. أن حكمتكم – وكذلك حكمة فارس والهند والرهبان لم تشبع روحي أو تملأ قلبي ... إنني سأستأنف المسير بحثا عن نور الله .. عن نبي هذا الزمان ...

وهكذا أيها الإخوة عندما قابلت محمدًا حدثت لأول وهلة أمور عجيبة نظرت إلى وجهه فاستراحت روحي – وسمعت كلماته فطغت على كل ما عداها من أوهام الحكماء والشعراء والفلاسفة والكهان ... معذرة أيها الإخوة لم يقف في طريقي نظام قائم عنيد ولم تحجب الضوء عني كبرياء كاذب لقد حطمت هذه الأصنام جميعا قبل أن آتي محمدًا.

اغرورقت عينا عمر بالدموع، وقال في انبهار:

صدق رسول الله ؛_(ﷺ)_ إذ قال: "سلمان منا أهل البيت"[1].

من هذا الشاهد يتضح أن المكان الروائي يعتمد في البداية على أفعال الشخصيات (الفنية)، فها هو ذا سلمان الفارسي يحكي للصحابة كيف أنه حطم الأصنام التي كانت تعيقه من الوصول إلى النبي الجديد، واستمر في رحلة البحث عنه قبل خروجه، وترك دينه ودين أبيه الذى كان راهب قومه وسيدهم ورئيس معبدهم، فقط لأنه بقلبه نور انبثق يهفو إلى النبي الجديد وإلى رسالة الحق التي معه، فلم يكن يروق لنفسه أي عبادة أو فلسفة أو شعر بل كان يبحث عن الحق المبين واستطاع أن يتجاوز سلبية المكان وينتقل عبر الأماكن حتى وصل إلى بغيته ووجدها بعد أن كافح كثيرا وصبر كثيرا فوصل إليها واستحق أن يكون كما قال النبي ؛_(ﷺ)_ "سلمان من أهل البيت".

- **صفوة القول:**

تتجسد علاقة المكان بالشخصية فى كون الروائي يتخذ من شخصيات الرواية رمزا يحتذى به أو عكس ذلك ويربط بين المكان والشخصية بصورة طردية وكأن كليهما وجهان لعملة واحدة، والكاتب يمحور فكرته كما يتصور ويبدو له، ووفقا لما يخدم قضيته، والكيلاني استخدم شخصيات رواياته قدوة، ودرجهم في الوصول إلى الفكرة المنشودة، وسخر عامل المكان لخدمة هذا التطور؛ حيث أسهم عامل المكان فى إنماء الحدث الروائي والوصول للغاية المنشودة، ويظهر هذا في "قاتل

(١) نجيب الكيلاني، رواية نور الله، ج٢، ص٢٨.

حمزة" و"أرض الأنبياء" والرجل الذي آمن" وشخصيات رواية "نور الله" أي أغلب رواياته في الشخصيات التي جاءت تحمل الفكاهة مثل "اعترافات عبد المتجلي" أيضًا هي تمثل قدوة في البراعة والخوف على المجتمع، كما أنها تستمد بساطتها وملامح شخصيتها وقوة إرادتها من ملامح البيئة الناشئة بها، وتحمل شخصيات نجيب الكيلاني في رواياته طابع التأثير سواءً كانت شخصيات إيجابية أو سلبية.

وكثيرا ما حاول نجيب الكيلاني أن تكون شخصيات رواياته واقعية ، وهذا جعلها أكثر ملاءمة للواقع وجذبا للنفوس، وإن جاءت الشخصيات متخيلة، فإنه يضفي عليها صفات واقعية تجعلنا نعيشها ونتخيلها، على الرغم من أن الشخصيات الواقعية أكثر تأثيرًا من تلك الخيالية، ولكن لم يورد الكيلاني الشخصية الواقعية إيرادًا تاريخيا بحتًا؛ لأن هذا لن يجعلها جذابة، وإنما أضفى عليها عوامل فنية وأحداثًا وخيالًا جعلها تناسب طبيعة الفن وتأثر النفوس وتجذبها، وقد جعل الكيلاني لشخصيات رواياته مواصفات بدنية وعقلية وأخلاقية وأقوال وقيم وسلوكيات جعلتها أكثر تحديدا، حيث أسهمت فى تطورها من حال إلى حال لتساير الأحداث وتصل بها من العقدة إلى الحل والانفراجة.

كما نوع الكيلاني فى شخصيات رواياته الفرعية والرئيسية، فنراه مثلا عدَّد من صور الشخصيات البطولية فى رواياته، فاستخدم شخصية البطل الوجودي في بعض رواياته مثل "قاتل حمزة" ذلك البطل الذي يمتاز بحساسية مفرطة ويرفض المسلمات القديمة ولا يفضل الانتماء إلى دين أو قيم بعينها، ويظن أن كل القيم والمعتقدات سواء الجاهلية أو الإسلامية إنما جاءت لتسلبه حريته؛ فيظل متمردا على نفسه وعلى العالم من حوله، وقد أورد الكيلاني التخيل الإسلامي لصورة البطل فقال: "البطل إسلاميا هو القدوة أو النموذج أو المثال الحي الذي تتجسد فيه القيم الإسلامية، هذه ناحية مهمة لكنها لا تغلق الباب أمام نماذج الضعف البشري أو البطولة الناقصة التي تحتاج إلى تجربة، أو معاناة وهي في طريقها إلى النمو أو الاكتمال، وهذا دور مهم لابد أن يحتفى به الأدب الإسلامي"(١).

ومثل هذه الشخصيات الناقصة أو التي تسعى إلى الكمال موجودة منذ الأزل وفى مجتمعاتنا الحالية وبكثرة، ويجد القارئ المتعة في التطلع إلى قصص تلك الشخصيات ومواكبة تطورات حياتها فهي تبدو أكثر جاذبية للمتلقي والكاتب؛ حيث يظل المتلقي ينتظر كشف الغموض في جزئيات حياتها حتى يصل إلى نهاية الرواية ولا زال يستمتع بكل ما يقرأ، بعكس الشخصية المباشرة ونلاحظ أن نجيب الكيلاني يحاول فى جُهد أن يُكرس الأحداث والمواقف التي تخدم شخصيات رواياته وتطورها بدلا من أن ينقل حياتها في جمود وثبات.

فنراه استخدم أنموذج الشخصية البسيطة في "اعترافات عبد المتجلي" وهي

(١) نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص٥٥.

"الشخصية التي تتسم بالوضوح والبساطة وتخلو من التعقيد"[١]. ومثل لها بشخصية "عبلة" و"وصال"، وفى (أرض الأنبياء) مثل لها بشخصية "نجلاء". حيث تتمثل أهمية الشخصية البسيطة في "خدمة الحدث، وتساعد في حركة الشخصية المستديرة وتصوير الحياة بدقة"[٢]. كما نلاحظ أن الروائي استخدم في رواياته "الشخصية النامية" أيضًا، وهي التي تتميز بنمو بطيء على بداية الرواية ثم ما تلبث أن تتطور وتندرج في الوعي الفني والاجتماعي، وهي شخصية محملة بالعواطف مثل: "وحشي – وصال – عبلة – ملكة – سهيل – سلمان" وكثيرًا من شخصيات رواياته الأخرى.

وأخيرًا يمكن القول إن الشخصية عمود العمل الروائي ومحدثة الحركات والسكتات وهي حجر أساس لا يمكن الاستغناء عنه تمامًا مثل المكان الفني، فكلاهما يكمل الآخر ويدعمه ويمثل وجه العملة الآخر.

(١) عبد الفتاح عثمان: بناء الرواية، مكتبة الشباب، القاهرة "المنيرة "، ط١، ص١١٤.
(٢) المرجع نفسه، ص١١٥.

المبحث الثاني
المكان وعلاقته بالزمان

الإنسان ابن الوقت؛ فما يعيشه يخضع للوقت لحظة بلحظة، وقد عرفه عبد الملك مرتاض بأنه: "مظهر نفسي لا مادي مجرد لا محسوس، ويتجسد الوعي من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر من خلال مظهره في حد ذاته فهو وعي وخفي لكنه متسلط ومجرد لكنه يتمظهر في الأشياء المجسدة"(١). كما عرفه هيثم الحاج علي بأنه: "ذلك الكيان الهُلامي الانسيابي الذي عرفه الإنسان من خلال توصيفات متعددة متباينة، تحولت وتطورت عبر تطور الوسائل المساعدة للوعي الانسيابي، ويمكن أن نلاحظ هذا المعنى"(٢). وتتناول الرواية الزمان في صورة تقلبات بين ليل ونهار وصيف وشتاء، مع ثبوت المكان وهذا التنوع الزماني في المكان الثابت يضفي نوعًا من الإثارة والتشويق لذهن المتلقي ويساعد في إعمال الفكر وتخيل الأحداث التي توحي لنا ببداية الخيط الروائي وانتهائه، أو بداية حياة الشخصية وانتهائها.

أيضًا للزمان أنواع وأشكال متعددة في الرواية، فقد يكون مستمرا أو متقطعا، قد يتداخل الحاضر مع الماضي، وقد يكون هناك زمن نفسي وهو زمن لا يخضع لمقاييس الساعة بل يقاس بالحالة الشعورية للشخصية، فالزمن الروائي مرتبط بحركة الأحداث والشخصيات. يقول السارد فى رواية (قاتل حمزة): "الطريق بين مكة وجبل أحد المجاوز ليثرب طريق مملوء بالصعاب ... الليل يخلف النهار والنهار يعقب الليل والثأر العرمرم .. ترفرف على موكبه أمنيات شيطانية حمراء..."(٣).

وأقبل المساء ووحشي ملقى على الرمال، محتضنا حربته بذراعيه القويتين، وكأنه يخاف أن تلمسها نسمة الليل ورأسه مثقل بآلام شديدة.."

"ووقف وحشي يتطلع إلى جبل أحد في ذلك اليوم المشهود، ذلك الجبل الشامخ لا يطأطأ رأسه لأحد"، "يرمق ما يجري في صمت وجمود والناس يتصارعون في استماتة بالغة، الغبار ثائر والسيوف تلمع تحت وهج الشمس الحارقة"(٤).

في هذين المقطعين تطرق الكاتب إلى استخدام صيغة الزمن المتواصل فهو يورد الأحداث متتالية من لحظة خروج جيش الكفار نحو "أُحد" إلى وصوله وبدء أحداث الحرب، والظاهر أن "الكيلاني" وظف الزمان لخدمة المكان الروائي

(١) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ط١٩٩٨م، ص١٧٣.
(٢) هيثم الحاج علي: الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي، دار الإنتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨ ، ص١٧.
(٣) نجيب الكيلاني ، رواية قاتل حمزة، ص٢٨.
(٤) نجيب الكيلاني، رواية قاتل حمزة، ص٢٩.

وأحداثه فنراه يورد الموعد الزماني في تحديد دقيق (مساء، صباح، ذلك اليوم) ليجعلنا نعيش ذلك الجو الزماني ونتخيل صورة المكان والأحداث وهذا التوقيت، ثم يدمج الحدث معه ويصفه وصفا دقيقا يستغرق زمنًا سرديًا ما يعيشه المتلقي مع المؤلف؛ فالطريق بين "مكة" وجبل "أحد" مملوء بالصعاب يعقب فيه اليل النهار ويخلف فيه النهار الليل، هذه الصورة تجعلنا نندمج في الحدث بكل مشاعرنا وتخيلاتنا، نتخيل الليل حينما يحل والنهار حينما يطلع، ونرى مشقة السفر، ثم يتخلل هذا الزمن وصف للحدث الكائن من تسامر الكفار، وحديثهم عن أنفسهم ومشاعر وحشي الذي ينزوي بعيدا عنهم لا يملك في هذا الليل سوى حريته وكل أمله أن يقطع مسافات الزمن ويطوي المكان ليصل إلى هدفه المنشود وينال حريته. ثم يصل وحشى إلى هدفه المنشود "يوم" احد: ويصف لنا الكيلاني فعل الزمان في المكان وشهادة المكان على الزمان؛ ففي هذا التوقيت بالذات "يوم أحد" حدثت الغزوة وقتل فيها "حمزة" سيد الشهداء، وتحرر فيها وحشى وبقى جبل أحد إلى يومنا هذا بعد مرور كل هذا الزمن شاهدا على يوم أحد وغيره من الأيام وقد سميت الغزوة الكائنة في ذلك الزمان باسم المكان "أحد" ليكون شاهدا عليها دائما، ليؤكد العلاقة القوية المتداخلة بين الزمان والمكان "فالحدث الروائي لا يصبح حدثا بمعزل عن الزمانية والتغير الذي هو غاية الأحداث لا ينشأ أيضًا إلا في إطار الزمانية"[١].

إن بعض روايات الكيلاني تبدأ بتحديد الخيط الروائي من خلال الزمان والمكان، من الوهلة الأولى للرواية، يقول السارد في (قاتل حمزة): "امتد الليل البهيم حتى شمل العالم من حوله وغطى مكة وبطحائها"[٢].

وفي (أرض الأنبياء)يقول: "مدينة حيفا بدت تحت جنح الظلام كابية حزينة وارتجافات النجوم في سمائها الصافية توحى بالقلق"[٣].

بينما فى بقية الروايات: "نور الله، "الرجل الذي آمن"، و"أهل الحميدية"، و"اعترافات عبد المتجلي"، و"عمر يظهر في القدس" بدأت بالحدث متخللا ذكر المكان مع الإشارة غير المحددة إلى الوقت، ولكن المتلقي يمكنه أن يلتمسه من بعيد.

كذلك لا يعتمد الكيلاني على ترتيب الأحداث دائما، فقد يتداخل الزمان عنده مع المكان والحدث، ففي رواية "الرجل الذي آمن" استخدم في بداية الرواية الإسترجاع؛ فإريان يسترجع ما قيل له عن بلاد الشرق:

"قيل له اذهب يا إريان إلى الشرق بلاد السحر والجمال"[٤].

ثم يتدخل الوصف ليصف حال تلك البلاد الجميلة وحال روما الآن في نظر

(١) صلاح صالح: قضايا المكان الروائي، مرجع سابق، ص١١٧.
(٢) نجيب الكيلاني ، رواية قاتل حمزة، ص٥.
(٣) نجيب الكيلاني ، رواية أرض الأنبياء، ص٩.
(٤) نجيب الكيلاني، رواية الرجل الذي آمن، ص٦.

البطل ثم يذهب تفكيره في حبيبته "صوفيا"، فيذهب إليها ليحدثها عن الأمر؛ وهنا تكون حركة الزمن غير منتظمة بشكل تسلسلي.

كثيرا ما يورد الكيلاني الزمن في توقيتات الطبيعة وبصيغ غير محددة تحديدا دقيقا ففي رواية (نور الله – ج١)يقول السارد: "واستقر به المقام في بيتها ومضت فترة قصيرة، جاءت له عقبها بإبريق من الخمر...وسادَتْ فترةٌ صمت قالت بعدها: "ولم هذا الانشغال كله؟ فالوقت هنا منحصر في غير تحديد "فترة قصيرة"[١].

"فترة صمت" الأمر نفسه في بقية الروايات مثل: "برهة" "فترة" "لحظات" أو أنه يذكر ألفاظًا للتوقيتات مثل "في الصباح" و"في المساء" و "في ذلك اليوم".

أيضًا فى هذه الرواية يستخدم الكاتب الزمان ويوظفه بحيث يخدم الأحداث والمكان، فالزمان إنما يروي وقائع مكانية حادثة متمثلة في سيرة النبي ﷺ- ومرتسمة على ملامح المكان بعينه، يقول السارد: "أصبح الصباح – وخرجت المدينة عن بكرة أبيها – لترى يهود بني قينقاع، يحملون متاعهم ونساءهم وأطفالهم، تاركين المدينة مخلفين وراءهم ما يملكون من سلاح وأدوات والذهب الذي كانوا يصيغونه"[٢].

أورد الكاتب الزمان هنا في صيغة "أصبح الصباح" والتي جعلت القارئ يتخيل حدث خروج أهل المدينة لمشاهدة يهود بني قينقاع وهم يتركون المدينة عقابا لهم من رسول الله بسبب خيانتهم ونقدهم العهد، وتحديد الزمان والمكان في الرواية بهذه الصيغة ينم عن علاقة تداخل غير قابلة للانفصال بين الزمان والمكان.

إنّ زمن الرواية زمن يمثل حلقة وصل بين الوعي واللاوعي، وعي الكاتب بجوهر قضيته التي يكتب الرواية لأجلها، ووعي الرواية التي نسجت فيه وخطت عليه ، واللاوعي خاص بالكاتب الذي أوجده ليصور فيه خيوطه التي نسجها داخل عقله، فصنع زمنًا خاصًا لنفسه ولقارئ أدبه، هذا الزمنُ الجديد للرواية ذو وقع مؤثر يأخذ بتلابيب القارئ ليتابع الأحداث الكائنة في الرواية عبر الزمن السردي حتى يُنهيها فهو فقط يُشعر القارئ بالراحة، وهذا ما نجده في روايات الكيلاني جميعها؛ فقد أوجد الزمن من بداية الرواية وعمقه داخل المكان بحيث يعطى انطباعا خاصا عن المكان والحدث معًا. ويهيئ عقولنا لتصوره واستيعابه، ويستمر الزمن داخل الرواية حتى نهايتها وهو يخلق فينا الإثارة يقول السارد في رواية(الرجل الذي آمن): "لقد رويت لك قصة حياتي كاملة، وشرحت لك عقوق صوفيا واستهتارها، وكنت تبدين السخط عليها، والانتقاص منها، حتى خيل إليّ أنك رمز المصالحة بيني وبين زماني الذي تنكر لي بالأمس، وها أنت اليوم تتركيني

(١) نجيب الكيلاني، رواية نور الله، ج١، ص٢١

(٢) نجيب الكيلاني، رواية نور الله، ج١، ص٨٧.

أجلس وحيدًا حزينًا مكروب الأنفاس، جريح الجناح، لا أستطيع التحليق والانتشار في سمائك الجميلة ... هل كَتب عليّ الشقاء والهزيمة"[١].

فمنذ بداية هذه الرواية والكاتب يصف لنا الأحداث متعقبًا إياها بالزمن فها هو إريان قد غادر روما مسقط رأسه واتجه نحو الشرق ليجد العمل والهدوء النفسي، وها هو يسترجع ماضيه أمام حبيبته الجديدة "شمس"، ويذكر لها ما حدث معه في روما مع حبيبته الأولى "صوفيا" في الزمن الماضي ويذكرها أنه قد روى لها هذا من قبل، ويستدل على الزمن الماضي من الأفعال الماضية "رويت – كنت"، ويظل الكاتب يربط الزمان بالمكان ويسرد الأحداث عبر الرواية حتى يصل إلى هدفه المنشود عبر مراحل الزمن المختلفة، التي تساعد الشخصية على النمو والتطور، فها هو إريان يغادر الغرب إلى الشرق ويلتقي بشمس ويبحث عن الإسلام ويدخل به، ويتزوج، ويسافر ليدعو إلى الله في بلاد أخرى وكل هذه الأحداث إنما سردها الكاتب داخل خيط الزمن الروائي، وفى كل الحالات لا يمكن للرواية التخلي عن الزمان، كما لا يمكنها التخلي عن المكان، فالراوية كعمل أدبي تستقطب الزمان ولا تتخلى عنه، كذلك المكان في كل حالاته حقيقي أو خيالي – واضح أو مجهول لا يمكنه التخلي عن الزمن فالمكان بمنزلة الجسد والزمان بمنزلة الروح التي تمنحه الحياة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

- **اختزال الزمن:**

تعد ظاهرة اختزال الزمن، التي تأتي في صورة تخطي الأحداث، من خلال كتابة الكاتب مثلًا عبارة: "وبعد فترة من الزمن" أو "وبعد ساعات" أو ما يشابهها من عبارات؛ تعد نمطًا يعبر به الكاتب عن عدوله عن الزمن والاهتمام بنتائج الأحداث التي دارت فيه وأثرها فى الشخصيات والمكان، كما تشير إلى اهتمامه بالمفارقة الزمنية الناتجة عن القديم والحديث، والمواقف التي تعرضت لها الشخصيات وقوة مواجهتها والخروج منها والوصول إلى نضج عقلي مثلا، أو إلى اتجاه أو إلى نقطة تحول جديدة كما في رواية (أرض الأنبياء)يقول السارد: "وبعد مسير ساعات مال خميس شاهين على أذن الشيخ ريحان وقال: "الناس في حاجة إلى ماء وزاد"

فهز الشيخ رأسه في حيرة وقال: "كل الماء والزاد المتبقين يجب أن يكونوا للأطفال والجرحى وحدهم"[٢].

عدل الكاتب في سرد ما حدث في هذه الساعات ليخلص بنا إلى النتيجة الحادثة من أثر عامل الزمن في هذا المكان الصحراوي القاحل وهو نفاذ الماء والطعام إلا القليل وهذا يشير إلى أن عامل الزمن يؤدى مع الضحايا دور الحياة في هذا المكان، فإن لم يصلوا في أقصر وقت إلى وجهتهم فإنهم سيموتون جوعًا

(١) نجيب الكيلاني، رواية الرجل الذي آمن، ص٢٢.
(٢)نجيب الكيلاني ، رواية أرض الأنبياء، ص٣٩.

وعطشًا، وهذا الاختزال الزمني وضّح لنا الصعوبات التي تعرضت لها الشخصيات في وقت غير محدد، ليترك الكاتب للقارئ مساحة من الخيال يتفاعل فيها مع معاناة الشخصيات، فدائما المجهول من الزمن يعمل على إثارة الذهن ويكون أدعى للخيال.

- **استطالة الزمن:**

وقد يستخدم الكاتب في بعض الأحيان أيضًا استطالة الزمن وهي خاصية على النقيض من اختزال الزمن، فيورد الكاتب أحداثا كثيرة لشخصيات الرواية ويستغرق الزمن في هذا السرد، ليس على سبيل الإطناب ولكن على سبيل رسم معالم واضحة لطبيعة الحدث أو الشخصيات ويعمق الإحساس داخل المتلقي، يقول السارد في رواية (أرض الأنبياء): "سوف نرحل، ونغلق الباب ...وبعد ربع ساعة تستطيعوا أن تهربوا".

أشاحوا بوجوههم، ورفعوا الأيدي إلى الأعلى، وفعل الطفل الصغير ما فعله أبوه وأمه وشقيقه وشقيقته، ثم انفتحت فواهات المدافع لتقذف النيران على الظهور المكشوفة، وصرخت الأبنة الكبرى واندفعت نحو شرذمة.

وقال القائد فى قسوة: "قيدوها بالحبال ولا تقتلوها ....من الوحشية أن تقتل هذه التحفة الفنية الرائعة... أن نلوث هذا الجمال الباهر بالدم.... قاومت نجلاء وصرخت وبكت واستنجدت بالجيران والمارة ورفعت رأسها إلى عربة إنجليزية تمرق بالشارع متوسلة، لكن دون جدوى،... ورأت نجلاء بعض القتلى فى الشارع وعلى جانبي الطريق فوق الأرصفة، وصرخت من جديد "أبى"، "أمى"، "أخي" ها هم يرقدون ، دعوني أذهب إليهم"(١).

ذكر الروائي مدة زمنية فى بداية الفقرة وهى "ربع ساعة"، ثم تبعها بأحداثٍ وتفاصيل كثيرة استغرقت زمنًا أطول فى الواقع الروائي والسردي متمثلة فى: زمن قتل الأسرة كاملة، والحديث الذى دار بين الميجور ورفاقه، ومرور نجلاء فى الشارع وما رافقه الروائي من سرد لملامح المدينة والشوارع بعد ما أصابها من احتلال، وكيف أنها كانت تكتسى بالقتل ومناظر الدماء، كل هذا يعد من استطالة الزمن، والروائي يوظف الاختزال أو الاستطالة فى الزمن حسبما يقتضى الموقف السردي.

ومثال آخر من رواية (أرض الأنبياء) أيضاً، يقول السارد: "ومع الصباح فاحت رائحة الغدر، وتطاول الأقزام، واستأسد الذئاب ... ودخل "ميجور" صهيوني بيتا عربيا والمدافع في يده تتبعه شرذمة من اتباعه الجنود. والتقت بهم لدى الباب عذراء في التاسعة عشرة من عمرها .. فسمرت مكانها لكن الميجور انقض عليها، وفى لحظات كان قد شق قميص نومها"(٢).

(١) نجيب الكيلاني، رواية أرض الأنبياء، ص٢٣، ٢٤

(٢) نجيب الكيلاني، رواية أرض الأنبياء، ص١٩.

ذكر الكيلاني الزمن هنا في صيغة "ومع الصباح" في هذا التوقيت بالذات ثم عمد إلى استطالت هذا الزمن بذكر تفصيلات الأحداث الدقيقة واستغرق الزمن فيها فلو استطردنا في كتابة بقية المشهد من الرواية لتضح لنا أكثر كيف استغرق الكاتب فى ذكر الأحداث بحيث لم يكتف الميجور بما فعل مع الفتاة، بل قتل أخها الذي خرج للدفاع عن شرف أخته، ثم عنف الأسرة جميعها وأدار وجوههم إلى الحائط بعد أن سلب منهم المال والذهب وكل شيء وبعد أن دار حوار كبير بين الأب والميجور ثم قتل الجميع إلا "نجلاء" وكيف أخذها وهو يجرها في شوارع المدينة واستغاثتها بالناس دون جدوى، ثم استرسل فروى ما فعل الميجور من هتك عرضها في دم بارد وسخرية إلى آخره من الأحداث، ليعمق لدى القارئ الإحساس بالمعاناة لدى الشخصيات ويرسم المعالم القاسية للحدث، وقد استطاع الجمع بين العنصرين (الاختزال – والاستطالة) وهو ما أوجد نوعًا من المفارقة داخل العمل الروائي عمل على كسر حاجز الرتابة والملل لدى المتلقي.

- **علاقة الزمان بالمكان من حيث الحركة والثبوت:**

قد يأتي المكان ثابتًا والزمان متحركًا، فيما يحاول الكاتب وصف أحداث كثيرة مرت بالشخصية في فترة زمنية طويلة، يقول السارد في رواية(اعترافات عبد المتجلي): "في لحظات الكرب والإهانة تواترت على رأسه الحليق نوبات من اليأس المحزن، وتزعزعت قصور القيم والأحلام، حتى أوشكت تنهدم فوقه ..... قاس الزنزانة بنظرته الحزينة، ثم رجع إلى ما حاق به من أذى بدني ونفسي ...، لقد تسلخ جلده من شدة الضرب، وامتلأ بالكدمات والسحجات" لم يكن يدرى على وجه اليقين لماذا هذا العذاب كله، ضاقت نفسه ولم يعد يحتمل، نقلوه من مكان إلى مكان وأخذ الرجال يقتادونه بكُره لم يصدق أحد أنه بريء، ولم يقتنعوا بموضوع الونش وحسبوه عضوًا نشطًا في تنظيم"(١).

ففي هذا الشاهد ظل الكاتب يسرد معاناة "عبد المتجلي" داخل الزنزانة والتي ظلت لفترات متلاحقة من الزمن؛ فالزمن متغير يتعاقب في داخل المكان الواحد الليل يعقب النهار، والنهار يخلف الليل، و"عبد المتجلي" ملقى في هذه المعاناة الجسدية والنفسية، وقد استغرق الكاتب عددًا لا بأس به من صفحات الرواية وهو يفصل هذه المعاناة الزمنية للشخصية المتمركزة في مكان واحد، وقد يعكس الكاتب فيأتي الزمان ثابتًا والمكان متحركًا فيسرد لنا أحداثا طويلة في فترة زمنية ثابتة مثل وقت الشروق أو الغروب، يقول السارد في رواية (أرض الأنبياء): "الفجر على الأبواب نفس اللحظة المشؤومة التي تمت فيها المؤامرة الإنجليزية الصهيونية واختطفت "نجلاء" حجرا .. وقصدت البوابة الرئيسية، كان بابها مغلق، وحارسها جالس لا يتحرك .. كانت تخطو في ثبات عجيب .. ورفعت الحجر ثم هوت به على الرأس المرتكز على العمود الخشبي .. فانطرح الحارس أرضًا دون حركة، .. ثم

(١) نجيب الكيلاني، رواية "اعترافات عبد المتجلي"، ص١٠٩، ١١١، ١١٢.

زحفت حت الأسلاك، وسلكت طرقًا ضيقة تعرفها تماما، وشعرت أن مدينتها تحنو عليها، ووجدت نفسها بعد دقائق في بيارة "شعيب بيك" ... وجرت بأقصى سرعة حتى بلغت أطراف المدينة – كانت تتسلل وعيناها تجوبان الظلام كعيني نمرة شرسة، وعندما أشرقت الشمس كانت نجلاء قد تجاوزت حيفا بأكثر من سبعة كيلو مترات فشعرت بالأمان الجزئي..."[١].

ويستخدم الكاتب هذه التقنية حينما يسرد لنا حدثًا أو أحداثا متتالية تنجز في فترة زمنية قصيرة مثل ما حدث مع "نجلاء" حينما هربت من سجن الأسرى، ثم ضربت الحارس، وزحفت تحت السور الشائك وسلكت طرقًا ضيقة كثيرة، ووصلت إلى بيارة شعيب بيك، ثم ابتعدت عن حيفا بقدر يضمن لها الأمان كل هذا حصل في لحظات زمنية قصيرة وهى "طلوع الفجر"، لكن الأماكن التي اخترقتها الشخصية كانت كثيرة ومتحركة بعكس الزمن الثابت، وهذا الأسلوب يصعد الوتيرة النفسية للقارئ ويجذب انتباهه وإحساسه للتفاعل مع ضيق الوقت الذي تمر به الشخصية ولابد أن تنجز عملا ما قد يفقد حياتها.

- **إخضاع للزمن التاريخي:**

فالزمن التاريخي للمكان سمة لا يمكن فصلها عن المكان، مثلاً في رواية "قاتل حمزة" لا يمكن فصل أحداث "بدر" و"أحد" عن الموقع الجغرافي لهما أو عن أرض الجزيرة، كما لا يمكن فصل الأحداث الزمانية في "نور الله" عن أرض الجزيرة، ولا أحداث الاحتلال الصهيوني الزمانية عن أرض فلسطين، كذلك هناك معالم مكانية للمكان مرتبطة بتاريخه، مثل فتح مكة والكعبة في رواية "نور الله"، ومثل أحداث الغزوات والمناوشات بين المسلمين والكفار في "قاتل حمزة"، إذن، فإن الزمن التاريخي يعطي المكان معالم بعينها ويحفزها في ذاكرة التاريخ.

- **الزمن النفسي للشخصية:**

يستخدم الكاتب الزمن النفسي "الداخلي" للشخصيات متجسدا في التفكير الذهني والاسترجاع الفكري داخل الشخصية أو خارجها، فقد تروى الشخصية الموقف الحادث مسبقًا وتتذكره ، بحيث توضع لنا أحداثًا زمانية مرتبطة بالمكان مرت بها الشخصية وتسترجع ذلك الزمن في فكرها او علنًا متأثرة بأحداثه، ويتضح لنا من خلال هذا الزمن مدى تأثر الشخصية بالمكان وانعكاساته على تفكيرها وتكوينها، يقول السارد في رواية (قاتل حمزة):" تمتم جبير:

-(يا لها من أيام!! إنني أشد ندمًا منك على ما فات...لكن هكذا شاءت إرادة الله أن تدمى أقدامنا فى طريق الشوك، وأن نذرف الدموع ونتكبد الآلام... حتى نبلغ مطلع النور"([٢])

فى هذا الشاهد كان الحوار يدور بين (مطعم بن جبير)، و(وحشى) بعد

(١) نجيب الكيلاني، رواية أرض الأنبياء، ص٤٦، ٤٧.

(١) [٢]نجيب الكيلاني، **رواية قاتل حمزة**، ص٢٦٤.

إسلامهما، كانا يتحدثا عن قبول النبي-ﷺ- إسلام وحشى، لكنه أمره أن يغيب وجهه عنه، حيث أن رؤيته تثير فى نفسه الشريفة -ﷺ- الحزن، لأنها تذكره بمقتل سيدنا حمزة-رضى الله عنه- عمه وأخيه من الرضاعة وحبه، الذى فُجع بمقتله، وفى الحديث يلوم وحشى مطعم بن جبير سيده فى الجاهلية ويخبره أنه من أغراه بقتله، فيخبره مطعم بالندم على هذا الصنيع، ولكنها إرادة الله، ومن المؤكد أن استرجاع مشهد قتل سيدنا حمزة حينما ذكره وحشي تأتى فى ذاكرته بكل تفاصيله التى تشمل الزمان والمكان، حيث غزوة أحد وجبل أُحد، ولابد أن وحشى استرجع الحدث فى ذاكرته بكامل تفاصيله وكامل مشاعره آن ذاك من فرحته الشديدة بنيل حريته آن ذاك، مع خوفه الشديد وقلقه لأن النبي أهدر دمه فى مقابل قتله "سيدنا حمزة، وهنا أيضًا أوجد الحدث مفارقة معنوية قوية التأثير فى النفس، بإضافة إلى مشاعر الندم الحالية بعد الإسلام لكلا الشخصيتين، هكذا اتضح تأثير الزمن النفسي فى الشخصية وارتباطه بالمكان.

- **إخضاع المكان للزمن اليومي:**

يستخدم الكيلاني هذا النمط من إخضاع المكان للزمن اليومي مثل استخدامه لفظة "عند طلوع الفجر" مثلا في "أرض الأنبياء"، وقت هروب "نجلاء" أو استخدماه لفظة "عند الغروب"، أو "وقت الشروق" أو "بعد الظهيرة"، هذه الألفاظ التي توحي بالزمن اليومي الغرض منها بتعبير صلاح صالح "والإشراق، أو صفات الغموض والإبهام في حالة ذكر الظلمة والليل"[1]. وقد يستخدم الكيلاني هذه الألفاظ داخل رواياته ليصف لنا جمالًا أو يبين لنا مدى الظلم الواقع على الشخصية، كل هذه الإضافات التي يضيفها الزمان إلى المكان تخلق تأثيرات نفسية ما على الشخصية والأحداث والقارئ، الذى يستطيع من خلالها قراءة ما لا تستطيع الكتابة وصفه إلا من خلال هذه الإشارات، مثلها تماما مثل بعض المشاعر التي نخفيها وتظهرها ملامح وجوهنا في بعض المواقف – فلكل شيء دلالة بعينها يقصدها الكاتب في نفسه ويجسدها في الزمن الذي يختاره والتوقيت الذي يذكره، ولهذا فإن الزمان يؤدى دورا مهما في تطوير الأحداث المكانية للرواية ومصير شخصياتها، وإيقاع إحساسها، فمثلا توقيت إسلام "عبلة"، و"وصال" و"خالد بن الوليد" متأثرين بفترات زمنية بعينها، وكذلك إسلام "إريان" جاء بعد أن قضى فترة زمنية يدرس الإسلام ويتحرى مبادئه، وما جرى من أحداث زمانية في رواية "قاتل حمزة" قبل إسلام "وحشي" هو الذى دفع "وحشي" للإسلام رويدًا رويدا، وبالمثل في بقية الروايات يعمد الزمن على التأثير في المكان والأحداث وتصعيدها.

أيضًا من الأزمنة ذات الطابع النفسي، ما يُعْرف بزمن العاشق، وهو نوع من الزمن استخدمه "الكيلاني" ليحدد لنا علاقة الزمان بالمكان والشخصية" وهو زمن قاسٍ مخترق بالأعراف الاجتماعية، والتدرج الطبقي وحصار الطبيعة، تتماثل

(١) صلاح صالح: قضايا المكان الروائي، مرجع سابق، ص١٢٩، بتصرف.

فيه اللحظة مع الرغبة وتقتل الأعراف الاستمرارية والنمو الطبيعي لعلاقات الحب"[١].

وقد خلق الكاتب في معظم رواياته هذا الزمن عامدا به إلى كسر حاجز الجدية في الرواية والتنويع بين الفكرة المراد إيصالها وبين ذكر علاقة حب قد تجذب القارئ لتتبع أحداثها بطبيعة البشر التي ترغب في تقصى مثل هذه الأمور، ففي "قاتل حمزة" هناك قصة "وحشى"، وعبلة، وفى أرض الأنبياء " نجلاء وصالح بدران" وأيضًا "ضحى وخميس شهين"، وفى "الرجل الذي آمن" هناك "إريان وصوفيا"، ثم "إريان وشمس" وفى "أهل الحميدية" هناك "عبد المغيث ورحاب" ثم "عبد المغيث وملكة".

وقد اخترق هذا الزمن الذي تماثلت فيه اللحظة مع الرغبة الأعراف، ففي "قاتل حمزة" توارى وحشى وعبلة عن نظر سيدهما وخرجا للتلاقي خفية رغبة في دفء الحب والعرف ألا تخرج الأمة عن طوع سيدها، ولا تقيم مثل هذه العلاقة دون علمه، لأنها ملك له، وفى "أرض الأنبياء" خرج "إريان" عن العرف وأحب "شمس" وهى على غير ملته، ثم غير دينه ولم يأبه لأبيه القسيس ولا لأبناء ملته، تلبيةً لرغبة الحب الملحة عليه في هذه اللحظات الراهنة؛ التي بعد أن زال تأثيرها وطغى عليه حب الدين الجديد تخلى عنها ليبحث عن فتاة تناسبه من حيث الدين والأخلاق، وفى" أرض الأنبياء" استوقفنا الكاتب بهذا الزمن في لحظات تجري بين "خميس شاهين وضحى،" أو بين "نجلاء وصالح بدران" وسط حالة حرب تدمي القلب وتبلد المشاعر، لكن الكاتب كسر هذا الحاجز بلحظات الحب الملحة التي انغمست في قلوب هؤلاء الأبطال، فلم تنسهم أنهم بشر يأكلون ويشربون ويُحِبُون ويُحَبون أيضًا، لأنها طبائعهم وإن كان الوقت وقت حرب، وهو ما يعمق من الأبعاد التخيّلية فى الرواية.

(١) أمينة رشيد: تشظي الزمن في الرواية الحديثة، مرجع سابق، ص١٧٠.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة أستطيع أن أجمل ما توصلت إليه من نتائج على النحو الآتي:

١) أسهمت خصوصية المكان والحضور القوي لها في روايات نجيب الكيلاني في إثراء التجربة الفنية، كما أسهمت الدلالات المتعددة للمكان الواحد عبر الروايات المختلفة في تعزيز دور المكان الريادي في العمل الروائي لدى نجيب الكيلاني.

٢) استطاع البحث أن يظهر دور الزمان في حركة الأحداث الروائية فبالتنقل بين أنواع الزمان مع تعدد الأمكنة الروائية تتصاعد أحداث الرواية وتبلغ ذروتها وينمو السرد الروائي بشكل طبيعي.

٣) كشف البحث عن تأثير الشخصية الروائية في الذات القارئة فنلاحظ أن المتلقي يعيش بإحساسه كاملا مع الأحداث وكأنه يراها عيانا، وذلك نابع من قدرة نجيب الكيلاني العالية على توظيف الوصف لخدمة الجانب الفني.

٤) أظهر البحث أهم السمات المشتركة للمكان في روايات نجيب الكيلاني مثل: التأثير النفسي للأماكن على الشخصيات، وواقعية الأماكن وفنيتها في آن واحد، وانفتاح الأمكنة وانغلاقها وتأثيرها على الشخصيات.

٥) تميزت روايات الكاتب بنسيج لغوي قوي جعل صورة المكان تبدو أوضح وأكثر جلاءً بوقوفه على وصف ملامح الأماكن التي سكنتها الشخصيات، حتى إن وصف المكان تتخلله جميع تقنيات السرد الروائي من حوار، وحدث، ولغة وهو ما حقق تفاعلية فنية بين الوصف المكاني والبناء السردي.

٦) هناك علاقة شديدة الصلة بين المكان والشخصيات، حيث أسهمت الأماكن في تغيير نفسيات الشخصيات بالسلب والإيجاب، فأسهمت الأماكن في تغيير سلوك الشخصيات وتغيير بعض معتقداتها الدينية والأخلاقية، كما أسهم المكان في تغيير دواخل الشخصيات وتحسين الجانب النفسي لديها.

٧) هناك علاقة شديدة الصلة بين الزمان الروائي والمكان الروائي، حيث إن الزمان يستطيع أن يظهر الدينامية داخل المكان ، وهذه الدينامية المتولدة عن الزمن قادرة على خلق أحداث جديدة داخل المكان الروائي، كما أن السرد الروائي يعتمد على الزمن في الحكي مثلما يعتمد على المكان في الوصف.

٨) هناك علاقة وطيدة الصلة بين المكان والراوي، وهي علاقة تجسدت في الصورة التي روى بها عمله كراوي غائب عليم بكل شيء، يخلع ما خطر في ذهنه على شخصيات رواياته

التوصيات:

أوصى الباحثين بالتعمق في دراسة الجانب اللغوي والإطار النفسي والجوانب الإنسانية والتاريخية في روايات نجيب الكيلاني.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر: (نجيب الكيلاني):
١- نور الله ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.
٢- نور الله ج ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.
٣- قاتل حمزة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٨٣م.
٤- الرجل الذي آمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
٥- اعترافات عبد المتجلي، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
٦. أرض الأنبياء، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.

ثانيا: المراجع:

(أ) المراجع العربية:

١-أمينة رشيد، تشظي الزمن في الرواية، الهيئة المصرية العامة لقصور الكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
٢- سيزا قاسم: بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)،دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥م.
٣- صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات، القاهرة، ١٩٩٧م.
٤-عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، مكتبة الشباب بالقاهرة، المنيرة، ط١.
٣- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ط ديسمبر ١٩٩٨م.
٤- محمد قطب عبد العال: دراسات في القصة القصيرة -الذات والموضوع، الهيئة المصرية العامة للكتابة والنشر، د.ت.
٥- نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، ط١، ١٤٠٧هـ.
٥- هيثم الحاج علي: الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨.